سورية وروسيا و«موسكو 2»

■ حميدي العبدالله

تسعى موسكو إلى عقد جولة جديدة من الحوار حول الأزمة السورية في 6 نيسان المقبل، رغم عدم تحقيق أيّ نتائج تذكر في الجولة الأولى من الحوار في موسكو، شأنها شأن جولات جنيف، لأنّ الدول التي انخرطت في الحرب على سورية تتوزع الآن بين مجموعة تصرّ على مواصلة الحرب بمعزل عن مخاطرها وتداعياتها، ومجموعة أخرى لم تصل بعد إلى مراجعة السياسة القديمة وتقف مرتبكة إزاء اعتماد خيار الانسحاب في هذه الحرب.

وقد رحبت دمشق على أعلى المستويات من جديد بالجهود التي تبذلها موسكو لعقد جولة جديدة من الحوار، وقرّرت دعم الجهود الروسية مع التأكيد على أنّ أيّ انفراج أو حلّ للأزمة في سورية يبدأ بتغيير مواقف الدول التي تقدّم الدعم للجماعات الإرهابية بأشكاله العسكرية والمالية والإعلامية والسياسية.

لكن لماذا تصرّ موسكو على عقد اجتماع جديد رغم معرفتها بعدم توفر شروط نجاحه، إنْ لجهة حدوث أيّ تغيير في مواقف الحكومات الغربية، أو لجهة إعلان الائتلاف المعارض الذي يمثل الدول والحكومات المنخرطة في الحرب على سورية مقاطعة لقاء الحوار في موسكو.

لا شك أنّ لموسكو حسابات هي التي تجعلها تصرّ على عقد هذا الاجتماع من دون ضمان نجاحه بشكل مسبق، أو على الأقلّ توفير الحدّ الأدنى من فرص نجاحه، وفي مقدّمة هذه الحسابات، أنّ الديبلوماسية الروسية بشكل عام وليس إزاء الأزمة في سورية تعتمد على خيار ملازمة المسار السياسي مع المسار الميداني، أو مسار الحلّ والتسوية مع مسار المواجهة الميدانية، هذا ما تعتمده روسيا في أوكرانيا، وبديهي أن تعتمده في سورية، فعلى الرغم من استمرار فرض العقوبات على روسيا، واستمرار الحكومات الغربية في تقديم الدعم للحكومة الأوكرانية، إلا أنّ روسيا لم ترفض خيار المفاوضات والديبلوماسية، رغم كلّ هذه الاستفزازات، وتنطلق الحسابات الروسية من اعتقاد بأنّ الأزمات في النهاية تنتهي باتفاقات سياسية، وحتى لو لم تحدث مثل هذه الاتفاقات أو التسويات، فإنّ المسار الديبلوماسي لا يتعارض مع المسار الميداني، بل يعززه من خلال تقديم روسيا وحلفائها بأنهم دعاة حوار وحلول سياسية، والمسؤولية في فشل مثل هذه الخيارات تقع على الذين يعتمدون الخيارات الأخرى.

في ضوء هذه الحسابات لا يحتلّ نجاح أو فشل أيّ حوار أو أيّ مبادرة إزاء أيّ أزمة، سواء كانت الأزمة السورية أو الأوكرانية، أية أهمية في الحسابات الروسية طالما أنّ هذه هي الفلسفة التي تعتمدها الديبلوماسية الروسية.

عقد مؤتمر جديد للحوار حول الأزمة السورية بمبادرة من موسكو لا تترتب على فشله أيّ نتائج سلبية، ولكن في حال نجاحه، ومهما كان هذا النجاح محدوداً، فإنّ تبعاته الإيجابية مفيدة، انطلاقاً من هذه الحسابات، فالحوار من وجهة نظر موسكو ليس هدفاً بحدّ ذاته وليس حواراً من أجل الحوار، بل الحوار يعزز العمل الميداني إذا لم ينجح، وإذا نجح يوفر المزيد من الأعباء على الأعمال الميدانية.

بين موسكو وجنيف... لا يصلح العطار ما أفسده دهر السياسة

■ سعد الله الخليل

بعد طول مشاورات ومحادثات، وفي ظلّ تطورات محلية وإقليمية ودولية تنعقد الجولة الثانية من لقاء موسكو التشاوري بعد أن حضر من حضر ورفض من رفض وتحفظ من تحفظ...

تداركت موسكو في الجولة الثانية ما اعتبره المقاطعون للجولة الأولى هفوات لا تغتفر في آلية الدعوة، ورغم ذلك واصل جزء من المقاطعين مقاطعتهم متذرّعين بأسباب جديدة تدخل في خانة الجدل للجدل من مبدأ «عنزة ولو طارت»، فأحد المقاطعين يبرّر مقاطعته بطرح سؤال «من هو المستفيد من لقاءات موسكو، النظام أم الروس؟ ويطالب الأطراف السياسية بنضج المواقف قبل طرحها في التفاوض مع الطرف الروسي والسوري كبروفة تفاوض قبل جنيف 3، وبذلك يُصَوَّر اللقاء كتدريب استعدادي ودّي، يسبق المباراة النهائية لبطولة مهمّة، ولم يخبر الرأي العام من هو الطاقم التحكيمي في تلك المواجهة المصيرية في ظلّ تشكيكه بنزاهة الطرف الروسي كوسيط محايد...!

ربما يكون سيد البيت الأبيض ومن لفّ لفه أكثر نزاهة من الروسي وعلى اعتبار أنّ التنسيق الأميركي السعودي في ضرب اليمن على أعلى المستويات ربما يسعف خادم الحرمين الشريفين «الداعية» باراك حسين أوباما بما يروي إسلامه من ماء زمزم المقدّس، والتي اشتاق إليها السوريون بعد سنوات الحرمان السعودي لهم من زيارة الأماكن المقدّسة وأداء فريضة الحجّ لأسباب محض «نزيهة»، مياه زمزم يبدو أنها أكثر استساغة لدى المعارضة السورية من الفودكا الروسية.

يبرّر بعض الرافضين والمقاطعين للقاء موسكو بغياب جدول واضح للأعمال والأهداف، وبأنّ نتائج اللقاء الأول غير مشجّعة على حضور النسخة الثانية، وفي الوقت الذي يهللون لعقد الجولة الثالثة من مؤتمر جنيف دون أي شروط مسبقة ولا حتى دون أدنى مبررات لآلية سوقهم إلى «جنيف 2»، وها هو جدول الأعمال الذي قدّمه لهم روبرت فورد وهو يوجههم عبر هاتفه الخلوي ربما تدفعهم نتائجه المذهلة إلى قبول المشاركة دون أيّ شروط أو تحفظات.

يتجاهل الرافضون والمقاطعون النقاط الرئيسية التي يطرحها لقاء موسكو من تقويم الوضع في سورية، وإمكانيات ومهام القوى الوطنية في البلاد للمشاركة في مواجهة التحديات، بما في ذلك مكافحة الإرهاب، وتدابير بناء الثقة، التي يمكن اعتمادها من قبل الحكومة والمعارضة والمجتمع المدني، وأسس العملية السياسية، بما في ذلك بيان جنيف، وخطوات الاقتراب من المصالحة الوطنية وتسوية الأزمة...

هذه المبادئ وغيرها لا تستحق المشاركة في لقاء يحاول التخفيف من معاناة السوريين ويمدّ يد المصالحة والحوار بين أبناء الوطن السوري.

يوماً بعد يوم تصرّ هذه الأطراف على كشف عمالتها وارتباطاتها بالمشاريع الغربية، وتصرّ على رسم صورة التابع والموظف الصغير في المشروع الكبير مضيّعة فرص إثبات الوطنية، الواحدة تلو الأخرى ولسان الواقع يقول لا يصلح عطار جنيف ما أفسده دهر السياسة.

«توب نيوز»

المسيح والشرق

قبل ألف عام وباسم الصليب وادّعاء حماية الديار المقدسة للسيد المسيح، قامت غزوات الفرنجة لبلادنا وكانت القدس بأمان ومسيحيّو الشرق بألف خير.

جاء الغزاة وحطموا كنائس الشرق وحاولوا احتلال القدس بذريعة تأمين قوافل الحجاج وحريتها الدينية.

قتل من مسيحيّي الشرق على يد الغزاة الآلاف.

اليوم تدنس القدس وكنيسة القيامة من الاحتلال ولا صوت في الغرب يرتفع تنديداً.

يذبح مسيحيّو الشرق ويهجّرون على يد من تربّوا و ترعرعوا في مدارس بني سعود حلفاء الغرب.

يفتح الغرب أبوابه للمهجرين من مسيحيّي الشرق ويمنحهم الإقامات بدلاً من نصرتهم للبقاء في ديارهم.

يهتم الغرب لتهجير المسلمين المهاجرين إليه بعدما نضبت بلادهم التي دخلها الغرب مستعمراً من فرص الحياة، كحال الجزائريين في فرنسا.

لا يجرؤ الغرب على الاعتذار عن جريمة الغزو قبل ألف عام باسم حروب الصليب، ولا عن استعمار الجزائر وجرائم الحرب فيها، ويواصلّ الصمت عن جرائم «إسرائيل» وبني سعود.

الغرب قادة وسياسة وكنيسة جزء من محنة المسيح كما آل سعود جزء من محنة الإسلام.

التعليق السياسي

لماذا إيران؟

■ د. سلوى خليل الأمين

حين رفعت إيران العلم الفلسطيني وأغلقت أبواب سفارة «إسرائيل» بعد نجاح ثورة الإمام الخميني، توجّس أهل الخليج شراً من هذه الدولة، التي كان الامبراطور السابق الشاه رضا بهلوي الآمر الناهي، والفزاعة لهم، حيث كان جيشه يعدّ من أقوى الجيوش إقليمياً، ومن بين الجيوش العالمية القوية التي لها وزنها.

بصريح العبارة كان فرس الخليج الذي يسرح على صهوته الأميركان بمنتهى السهولة، لهذا كان البعبع الذي يرعب قادة الدول الخليجية، لهذا كانوا يتهيّبون الموقف ويحنون الهامات إذعاناً وقبولاً.

لكن بعد الثورة تغيّرت المعايير والمقاييس، فإيران «العدوة» للعرب، أصبحت تحمل لواء القضية الفلسطينية التي تخلى عنها العديد من الحكام العرب، عبر معاهدات الذلّ المشؤومة، وعبر زيارة مخجلة قام بها الرئيس المصري السابق أنور السادات إلى دولة العدو «الإسرائيلي». هنا توجهت أنظار دولة الصمود والتصدّي سورية الحاضنة بقوة للقضية الفلسطينية وشعبها المشرّد في الشتات إلى هذه الدولة الإقليمية الجارة، التي ستكون الساعد الأيمن لكلّ مقاومة ستنهض ضدّ «إسرائيل» بالاتفاق مع سورية، لهذا امتدّت الجسور التي بنى أسسها الرئيس الراحل حافظ الأسد بين الدولتين، مما أثار حفيظة حكام الخليج الذين شجّعوا الرئيس العراقي السابق صدام حسين ودعموه بالمال والسلاح لشنّ الحرب على إيران التي استمرّت 8 سنوات، وأرخت خسائرها على الطرفين، علماً أنّ الثورة الإيرانية كانت في بداياتها ومع هذا استطاعت الصمود أمام كلّ القوى التي تحالفت ضدّها ودعمت العراق في حربه المشؤومة، بعدها بدأت إيران مرحلة النموّ والارتقاء إلى جانب حرصها على الأمن والأمان في منطقة لا يملك فيها حاكم قرار حريته وسيادة وطنه، وشجّعت حركات المقاومة ضدّ «إسرائيل» التي تبناها أيضاً الرئيس حافظ الأسد والقوى الوطنية، فكان ما كان من وسائل الدعم المطلق لحزب الله المقاوم ولحركة «حماس» أيضاً، ولكلّ من يرفع لواء مقاومة «إسرائيل».

كبرت الحالة المقاومة وسجلت انتصاراتها على العدو الصهيوني من لبنان في العام 2000 وفي العام 2006، وهزمت جيش العدو الذي لم تغلبه قوة عربية أخرى، والذي كان الفزاعة المعلقة القابلة للتعدّي والاجتياحات والقتل والتدمير في كلّ حين، إلى أن جعلتهم مقاومة حزب الله المدعومة عسكرياً ولوجستياً من إيران وسورية يهتزون خوفاً من أيّ فكرة عدوانية قد تشنّ على لبنان... وهكذا حدث أيضاً في غزة أكثر من مرة آخرها في حرب الـ51 يوماً.

إيران هذه الدولة المتفاعلة مع قضايانا العربية الوطنية والقومية لم تصادر قراراتنا الوطنية، ولم تعايرنا بما قدّمت، ولم تتسلط على كرامتنا الوطنية، لأنها مؤمنة بأنّ مساعدة الأشقاء العرب إنما هو واجب إسلامي ديني نابض من عقيدة حسينية كربلائية، تضرب الظلم أينما حلّ، وتعلي الحق، وتهزم الباطل كيفما تحرك وأينما وجد.

لهذا شتموا المقاومة، وقالوا عن مقاومة حزب الله للعدو الصهيوني مغامرة، وخربطوا أوضاع لبنان السياسية عبر زعماء أوجدوهم ولم يحسنوا إدارة الوطن المتعدد الطوائف، بل أداروه كشركة خاصة، يأمل فيها الكلّ بتعبئة خزائنه من بيت مال الشعب، بينما كان فريق المقاومة المؤمن بالتغيير والإصلاح وتحرير فلسطين وعودة الفلسطينيين إلى ديارهم يدفع ضريبة الدم فداء لسيادة الوطن، التي استغلها الآخرون وعملوا على هدمها، بدليل عدم الاتفاق على انتخاب رئيس للجمهورية يمثل أكبر تكتلٍ مسيحي في دولة تعتمد الطائفية نهجاً ومنهجاً.

وهكذا أيضاً، كان «الربيع العربي» الذي وصلت تباشير خططه المسمومة إلى قلعة النضال سورية، وكان ما كان من دعمهم لكلّ العصابات الإرهابية، التي هيّأتها أميركا والصهيونية العالمية من أجل القضاء على سورية، وصولاً إلى القضاء على قوى المقاومة في لبنان وفلسطين. استعملوا أولاً الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة، وادّعوا بأنّ الحكم في سورية «علوي»، علماً أنّ الجميع يعرف بأنّ حزب البعث الحاكم هو حزب علماني، وأشعلوا نيران الفتنة السنية الشيعية وخلقوا «داعش» و«النصرة» ومثيلاتهما، وكانت سبقت ذلك الحرب المفتوحة على إيران وبرنامجها النووي حيث واجهت إيران العقوبات، وبدأت «إسرائيل» بتشجيع أميركا على شنّ الحرب عليها، ظناً منها أنّ قطع الرأس هو الأساس وإيران في عرفهم، هي الرأس المدبّر لكلّ مقاومة ضدّ وجودهم... ولم يعتبروا مطلقاً أنّ سورية وأحرار العرب والمقاومة يتصدّون لحالة الحرب المفتوحة مع العدو الصهيوني ما دام محتلاً لفلسطين، ومن أولى موجبات الحرب التنسيق مع الحلفاء المؤمنين بهذه القضية إيمانهم بعقيدتهم الدينية، أعني إيران القادرة والقوية.

في الوقت ذاته، لم يستجب الرئيس الأميركي باراك أوباما لمطالب «إسرائيل» بشنّ الحرب على إيران وسورية، وكانت هذه ضربة قاسية قصمت ظهر البعير بينه وبين قادة «إسرائيل» ومنهم رئيس الوزراء نتنياهو الذي يعتبره أوباما رأس الشرّ، بحيث تحدّى الدولة الأميركية ووقف خطيباً في الكونغرس ضارباً عرض الحائط بالرئيس الأميركي الرافض لوجوده، ولموقف أنصاره من الحزب الديمقراطي الذين اعتبروا أنّ نتيناهو تحدّاهم في عقر دارهم، وداس السيادة الأميركية وشرفها العظيم، مما سبّب هذا الحنق المتفاعل صعداً من الرئيس الأميركي وفريق عمله، الذي عرفت إيران أن تطوّقه وتستفيد منه عبر ديبلوماسية راقية وفاعلة ونشيطة، تفهم وتعرف سبر الأغوار وصولاً إلى التمكن من النصر.

ففي السياسة ليس هناك عدو دائم ولا صديق دائم، بل مصالح تتناغم وتعلو وتهبط حسب مؤشرات المصلحة العامة لكل دولة، لهذا وجدنا أنّ الرئيس أوباما، قرأ جيداً مضمون المباحثات مع إيران بخصوص برنامجها النووي، ووثق بالسيد الخامنئي الذي أفتى بأنّ إيران لا تخصّب النووي سوى للأغراض السلمية والتخصيب لقتل البشر حرام. ثم أردف بعد نجاح المباحثات أخيراً في جنيف وموافقة الدول الست عبر رسالة وجهها إلى الحزب الجمهوري أولاً، ودول الخليج ثانياً، ودول العالم ثالثاً خصوصاً فرنسا وبريطانيا بالقول: «أكبر الأخطار التي تواجه دول الخليج لا تأتي من احتمال وقوع هجوم من إيران، ولكن من الاستياء الذي يحدث داخل بلدانهم، بما في ذلك الشباب العاطل عن العمل الذين يشعرون بأنه ليس هناك أمامهم منفذ سياسي للتظلم، يعني أنه يعترف علناً بأنّ الديمقراطية التي توّجت عناوين الربيع العربي غير موجودة عند حلفائه حكام الخليج، ويعني بصريح العبارة: أن استفيقوا وانتبهوا، منهياً كلامه بتهديد مبطن بين السطور.

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال كبير وهو: لماذا الهجمة القوية الشرسة على إيران؟ لماذا نعتها بأبشع الأوصاف؟ وهل العرق الفارسي الذي هو معروف تاريخياً بأقدمية امبرطوريته التي نافست الامبراطورية الرومانية بات موضع استهزاء وقدح وذم؟ ثم أليس الشعب الإيراني بأغلبيته شعب مسلم وإنْ كان على المذهب الشيعي، فكتابه هو القران الكريم وسنّته السنّة النبوية الشريفة وقبلته الكعبة المشرّفة، إذاً لماذا الحقد والعدوانية المبيّتة التي لم تظهر مطلقاً في أثناء فترة حكم الشاه رضا بهلوي، الذي كان مسيطراً بقوته العسكرية على تحركاتهم وكانوا يرتجفون خوفاً منه؟ ثم لماذا نسمع هذه الأصوات المنكرة لنتائج الاتفاق الأميركي الإيراني في الوقت الذي لم تبد إيران خلال مسيرتها سوى الدعوة إلى التوافق والوفاق بين جيرانها حكام الخليج، لأنّ ما يجمعهم أكثر مما يفرّقهم، لكن لا حياة لمن تنادي، فـ«إسرائيل» ومفاعلها النووي القائم في ديمونا منذ العام 1963 والذي يبعد مسافة 250 كلم عن الجبهتين السورية واللبنانية، لا يقلقهم وهو حالة لا تخضع لاعتراض هؤلاء الحكام، علماً أنّ «إسرائيل» تعد بين القوى النووية الأولى والمقتدرة إلى جانب أميركا وروسيا والصين، وتملك ما لا يقلّ عن 300 قنبلة ورأس نووي، ومع هذا الخطر الكبير منها على الجميع فإنهم يعتبرونها حليفاً مساندا في أجنداتهم من أجل ضرب المقاومة، وكلّ من يساندها، وأقصد إيران وسورية، ولهذا افتعلوا حرب اليمن، ولم يسعوا إلى تمرير الحلّ السياسي في سورية ، كما أنهم يعطلون مسار الجمهورية والدولة في لبنان عبر أعوانهم السذج.

لكن المستقبل القريب يخبّئ لهم ما ليس في الحسبان، والاتفاق سيوقع حتماً في شهر حزيران المقبل، وسيندم المعترضون ساعة لا ينفع الندم.

بين لوزان وشرم الشيخ...

■ شهناز صبحي فاكوش

... وصعد الدخان الأبيض من لوزان، حيث اقتطعت المفاوضات بين إيران وأميركا والـ5+1، من الزمن ألف ساعة في 16 جلسة، من أجل التوصل إلى اتفاق حول ملفها النووي.

تطلب إيران رفع جميع العقوبات التي تؤثر على الشعب... المالية التي جمّدت أموالها، والاقتصادية التي اضطرتها إلى التعامل مع الواقع والاعتماد على الذات. كما أيّ عقوبة على أيّ شعب...

خمسون عاماً من الحصار على كوبا... والنتيجة الرضوخ لإرادة الشعب... واليوم حصار وعقوبات على سورية... والصمود يزداد والإرادة أقوى.

كانت المفاوضات طويلة وصعبة ومعقدة، هذا ما وصف به الأميركان المحادثات. لكنها جاءت بنتائج أقلّ ما يُقال عنها إنها إيجابية، أسعدت الشعب الإيراني، واعترفت بحق إيران في أن تكون دولة نووية وذات ثقل إقليمي وعالمي.

العقوبات الاقتصادية يهتمّ مجلس الأمن برفعها كما أوقعها على طهران، وقد تظلّ عالقة العقوبات المتعلقة بالتقنيات النووية...

محاولات فاشلة لزجّ قضايا إقليمية وفتح ملفات سياسية، راوغت فيها أميركا كعادتها دائماً، لتكون ورقة ضغط على إيران، تجعلها تدفع الأخيرة أثماناً وتقدّم تنازلات، حلم كيري الذي قاد وفده الأميركي الحصول عليها... أقلها التحالف معها أو التبعية، وهو (يحك أنفه) أملاً في الوصول إلى مآربه.

إيران أذكى من الثعلب كيري والدول الغربية، فتصدّت بديبلوماسية دمثة لعدم إدراج أيّ ملف إقليمي أو التطرّق لأيّ مسألة سياسية... وأصبح الحديث عنها هامشياً.

إيران تتعامل بالندية مع الدول الكبرى، وهي تفصل استقلال قرارها السياسي مع حلفائها عن ملفها النووي.

في ذات الوقت الذي كانت تفاوض فيه أميركا إيران، كانت تحرك أعوانها في المنطقة لإشعالها أكثر مما هي فيه.

الأول تحرك الطائرات السعودية ويقود معظمها طيارون أميركان، وفيهم «إسرائيليون» لضرب اليمن، بحجة ضرب الحوثيين وهي تضرب أيضاً مخيمات يمنية، والحصيلة قتل مدنيين لا ذنب لهم.

الثاني تحريك تركيا لتضع كلّ مقدراتها لصالح «داعش» وتحدّد لهم زمناً لاجتياح إدلب مهدّدة بقطع المساعدات، وكان أن ساعدت «داعش» برعاعها لتنفذ الأمر والمهمة.

الثالث انعقاد ما يدعى بالقمة العربية في شرم الشيخ للموافقة على ضرب اليمن، وقرار تشكيل ما أسموه بالقوة العربية المشتركة، لإعطاء الغطاء لمصر بالتدخل في ليبيا كما حين قامت بضرب المسلحين... وضرب الطائرات الأردنية لـ«داعش» في سورية.

ما تريده أميركا هو ضرب العرب للعرب على أساس محاربة الإرهاب دون التنسيق مع الدولة صاحبة الأرض...

حاولت أميركا استفزاز إيران لتتدخل في العراق، بعد أن فشلت عمليتهم الإعلامية في أنّ فصائل إيرانية تحارب في العراق. وأثقلوا القصف على اليمن مروّجين أنّ إيران تساعد الحوثيّين، مروّعين بعضاً من الشعب من الجار الإيراني.

حاول بعض الأميركان في الوفد عرقلة الملف النووي، أو نسفه تماماً... وأعلنت تركيا أنها تدعم التدخل العربي في اليمن... بتوجيه أميركي ما دعا إيران إلى استدعاء القنصل التركي.

أما ما سُمّي بالقوة العربية المشتركة لحفظ الأمن العربي، ومصر جزء منها وهي مقترحها، نجد تركيا داعمة لها رغم خلافها الشديد مع مصر.

قرار شرم الشيخ لم يوضح أنّ الأمن العربي يكون في مواجهة من؟ حيث لم يتطرّق أحد بأيّ كلمة لمواجهة «إسرائيل»، بينما كيل الاتهامات كان ينصبّ على المقاومين العرب وحلفائهم... حتى أصبح الصديق عدواً والكيان الصهيوني صديقاً.

كيف لا ومعاهدات الخذلان تربط الأردن بـ«وادي عربة» ومصر بـ«كامب دايفيد» وبعض الفصائل الفلسطينية بـ«أوسلو»...

إلى أيّ منحدر تهوي الأمة العربية... الخليج الذي يتعامل اليوم بازدواجية المعايير كما ما يدعى بالجامعة العربية، حول شرعية الدولة في سورية واليمن. وبين الجماعات المسلحة وتلك المقاومة... والخلط بين الصديق والعدو.

سترتدّ كلّ الأمور عليه، ويفقد مقوّماته كدول قادرة على حراسة بترولها المودع لديها ومفاتيحه بيد أميركا. التي تملأ قواعدها وكذا الغربية الأراضي الخليجية.

ما يجعل اليد الطولى لهم ليس على الأرض فقط بل وفي اتخاذ القرار عنهم. ويفضي في النهاية إلى ضرورة فرض الوصاية عليها... ببساطة لأنها ستعتبر أنها وصلت إلى مرحلة الدول الفاشلة... حيث لا مقومات تمنحها الصمود والثبات.

ما يسعد الكيان الصهيوني اليوم استعار الاقتتال العربي العربي. وهي تسعى الآن إلى دعم أيّ خلاف بينيّ، وتغذيَة أيّ نعرة طائفية. بل وتشجع مع أميركا لرَسم الشرق الأوسط الجديد، على أساي ديني وطائفي ما يسهّل وصولها إلى «الدولة اليهودية»، فتكون هي الأكبر وجوارها دويلات مذهبية وطائفية صغيرة، فتصبح بذلك جزءاً طبيعياً من جغرافية المنطقة بل والمرجعية الأكبر فيها...

لن ييأس سعي الكيان الصهيوني وتحرك نتنياهو ضدّ الاتفاق النووي الإيراني، وتحريك الجمهوريين في الكونغرس الأميركي، لمنع التوقيع النهائي في حزيران.

كما حاول وزير الشؤون الاستراتيجية الصهيوني، يوفال شتانيتش، التقليل من أهمية الاتفاق، بقوله إنّ الابتسامات في لوزان بعيدة عن الواقع البائس.

التحالف السعودي الذي يضرب اليمن اليوم و«المشرعن» في اجتماع شرم الشيخ، ضربة في الصميم العربي، والسعي اليوم إلى مجلس الأمن ليس إلا بحثاً عن شرعية مفقودة، تبريراً لفتح أبواب السجون اليمنية ليخرج أعتى عتاة «القاعدة».

في لوزان تنال إيران بعضاً من حقوقها ومكانتها وهيبتها... ومن شرم الشيخ يفقد العرب مكانتهم وهم يقتلون بعضهم بعضاً، ويفقدون مكانتهم مما أضحك الكثير منهم. وصولاً إلى فقدانهم لهيبتهم حتى أمام شعوبهم.

أليس من استفاقة.... أليس من رشيد؟

ابراهيم هنانو... قائد خالد بالفكر والذاكرة

■ لورا محمود

ليس محض صدفة حرق وتدمير الآثار التاريخية السورية، فمن حاول تغيير العلم السوري الى علم الانتداب الفرنسي هو نفسه من حاول اللعب بالمعالم الحضارية لسورية، فأعداء الإنسانية لم يحاولوا إسقاط النظام وحسب، بل إسقاط الهوية الوطنية أيضاً، واليوم أغبياء العالم دمّروا تمثالاً لأحد أهمّ الرموز الوطنية في التاريخ السوري وأبرز قادة الثورة ضدّ الاحتلال الفرنسي القائد ابراهيم هنانو.

حياته ونشأته

هو ابراهيم بن سليمان آغا بن محمد هنانو ولد عام 1869 في بلدة كفر تخاريم في محافظة إدلب، نشأ في أسرة غنية وأتمّ الدراسة الابتدائية في بلدته، ثم انتقل إلى حلب حيث أتمّ دراسته الثانوية، درس في الجامعة السلطانية في الآستانة وعاد بعد أربع سنوات، ثم غادر مرة ثانية إلى اسطنبول لينهي دراسة الحقوق بعد ثلاث سنوات أخرى، وأثناء عمله في اسطنبول، تزوّج بفتاة من أرضروم، ورزق بابنته نباهت وابنه طارق، وتوفيت زوجته بعد ولادة ابنه بخمسة عشر يوماً.

عيّن مديراً لناحية في ضواحي اسطنبول لمدة ثلاث سنوات ثم تم تعيينه قائم مقام بنواحي أرضروم ليبقى فيها أربع سنوات، انتخب عضواً في مجلس إدارة حلب، وعين بعدها رئيساً لديوان الولاية لمدة سنتين، وذلك عند رشيد طليع والي حلب، والذي شجعه على الثورة في الشمال بالتنسيق مع الملك فيصل. وتمّ انتخابه ممثلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري العام في دمشق في دورة (1919 – 1920).

هنانو والانتداب الفرنسي

عقد اجتماع في منزل قائم مقام إدلب عمر زكي الأفيوني في نهاية عام 1919 برئاسة هنانو. وضم الاجتماع كبار ووجهاء إدلب والمناطق المجاورة لها، لتنظيم شؤون الثورة، وتمّ الاتفاق على اختيار هنانو لتأليف قوات عربية على شكل عصابات من المجاهدين لمشاغلة الفرنسيين الذين احتلوا مدينة أنطاكية والتي كانت تحت سيطرة عزة هنانو أخ ابراهيم، والذي اضطر إلى تسليم المدينة بناء على أوامر الحكومة العربية في سورية.

قام هنانو بجمع أثاث بيته وأحرقه معلناً بداية الثورة، وقال جملته المشهورة: «لا أريد أثاثاً في بلد مُستعمر»، وكان أول صدام مسلح بين الثوار والقوات الفرنسية في 23 تشرين الأول 1919، حيث استمرّ القتال قرابة سبع ساعات.

أقام هنانو محكمة للثورة لكلّ من يتعامل مع فرنسا أو يسيء إلى الثورة. قامت فرق المجاهدين التابعة له بتحقيق نجاحات ضخمة ضدّ الفرنسيين، وبلغ عدد المواجهات بين هنانو والفرنسيين التي قادها بنفسه 27 معركة. وفي معركة مزرعة السيجري استطاع أسر جنود فرنسيين وقام باسترداد مناطق واسعة كان سيطر عليها الفرنسيون منها منطقته كفر تخاريم.

قام الفرنسيون على إثر ذلك بدخول دمشق، ومن ثم حلب، لقمع الثورة، ولجأ هنانو وقواته إلى جبل الزاوية ضمن المنطقة المحصورة بين حماة وحلب وإدلب، فانضمّ كثيرون إليه هناك مما سمح له بإنشاء قاعدة عسكرية لتصبح المنطقة مقراً له.

قام بعدها بنقل منطقة قيادته إلى جبل الأربعين وازداد عدد أتباعه بسرعة بعد انتصاراته على الفرنسيين، فقام هنانو بإعلان دولة حلب وإقامة حكومة مستقلة بإدارته. على إثر ذلك بدأت مفاوضات بينه وبين الفرنسيين ممثلة بكلّ من الكولونيل فوان والجنرال غوبو، واشترط هنانو للبدء بالمفاوضات إيقاف تحرك القوات الفرنسية.

بعد توقيع مصطفى كمال أتاتورك اتفاقية مع فرنسا، أصرّ الفرنسيون على أن تصبح كلا من (إدلب – حارم – جسر الشغور –أنطاكية) تحت الحكم الفرنسي الأمر الذي رفضه هنانو، واعتبره اتفاقاً مذلاً.

محاكمة هنانو

حُكم على هنانو أربع أحكام غيابية بالإعدام من قبل محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية، ومع سيطرة الفرنسيين على الطرق، ونقص الدعم العسكري لهنانو، اضطر لمغادرة معاقله إلى الجنوب حيث حاول التفاوض مع الشريف عبدالله.

وفي الطريق إلى شرق الأردن تعرّض لكمين قرب جبل الشعر بالقرب من حماة في معركة (مكسر الحصان) حيث فقد معظم من كان معه واستطاع النجاة بنفسه وتمّ القضاء على ثورته. وفي طريقه إلى القدس قبض عليه الإنجليز في 13 آب 1921 وسلّموه إلى الفرنسيين، وبعد القبض على هنانو قدم إلى محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية بتهمة الإخلال بالأمن والقيام بأعمال إجرامية، إلا أنّ المحامي فتح الله الصقال وهو أبرز محامي حلب دافع عن هنانو وأظهر انّ التهمة باطلة كون هنانو خصماً سياسياً وليس مجرماً، بدليل أنّ الفرنسيين قبلوا بالتفاوض معه مرتين ووقعوا معه هدنة فأطلق القاضي الفرنسي سراح هنانو معتبراً ثورته ثورة سياسية مشروعة.

محاولة اغتياله ووفاته

في أيلول 1933 قام شخص يدعى نيازي الكوسى، بإطلاق النار على هنانو في أثناء وجوده في قريته إلا أنّ الرصاص أصاب قدمه، وتم القبض على الكوسى في انطاكية، وحكم بالسجن عشر سنوات، إلا أنّ المفوض السامي الفرنسي أصدر عفواً خاصاً عن الكوسى مما دفع الجميع للاعتقاد بعلاقة الفرنسيين بحادثة الاغتيال.

قصد الزعيم إبراهيم هنانو قريته «السيدة عاتكة» للإشراف على بعض أعماله الزراعية هناك، وكان يتمتع بكامل صحته ولكنه أحسّ بشيء من البرد والألم، فعاد إلى غرفته. وما لبث الألم أن اشتدّ عليه، فأرسل ابنه طارق إلى حلب، ليحضر له سيارة تنقله إلى هناك وحين تأخر ابنه في العودة، أمسك ساعة وصار يعدّ نبضه وحين شعر أنّ عدد نبضاته يتجاوز المائة، ألقى الساعة من يده، وقال لمن حوله: «قولوا لإخوتي الوطن بين أيديهم». وتوفي يوم الخميس الموافق 21 تشرين الثاني 1935، وصلي عليه في الجامع الأموي بحلب.

يذكر انّ اسم القائد ابراهيم هنانو يطلق على الكثير من الشوارع الرئيسية في المحافظات السورية وأبرزها محافظة إدلب التي سيطر عليها ما يسمّى «جيش الفتح» التابع لـ«جبهة النصرة» في أواخر الشهر الفائت وحطم تمثال القائد هنانو الذي طالب النائب العام الفرنسي عام 1922 بإعدامه قائلاً: «لو أنّ لهنانو سبعة رؤوس لطلبت قطعها جميعاً»، واليوم بعد 93 عاماً حقق ثوار الحرية حلم فرنسا وقطعوا رأس هنانو هذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أنّ الممارسات الإرهابية التي اتبعها المسلحون في سورية هي صناعة فرنسية قديمة.